العربية الباقية وأشهر لهجاتها

مقدمة:

لقد أوضحنا في المحاضرة السابقة أن اللغة العربية الباقية هي التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب، وهي التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنة النبوية؛ لذلك تنصرف إليها "العربية" عند إطلاقها، والواقع أن الإسلام صادف –حين ظهوره– لغة مثالية مصطفاة موحدة، جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوّى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين هو ذلك اللسان المثالي المصطفى، وكان تحدّيه لخاصة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله، أو بآية من مثله، أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللغوية، على حين دعا العامة إلى تدبر آياته وفقهها وفهمها، وأعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات، في أحرفه السبعة المشهورة .

لا غرو بعد هذا كله إذا نزل القرآن بلغة العرب المثالية، وبارك توحّدها، وسما بها إلى الذروة العليا من الكمال، بعد أن كانت لهجة محدودة لإحدى قبائل العرب1، ولا عجب إذا اقتصر على تحدّي خاصة العرب القادرين على التعبير بتلك اللغة الموحدة، ثم لا غرابة أخيرًا إذا تعددت وجوه قراءاته تخفيفًا على القبائل، وحلًّا لمعضلة تباين اللهجات. الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره، وقوّاها قرآنه بعد نزوله، لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عمليًّا قبل الإسلام وبقاءها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم يتحدثون بتلك اللغة المثالية الموحدة، وإنما كانوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم، وخصائص ألحانهم،

1 .1

وهذا ماتؤكده لنا نصوص اللغة والأدب التي رويت لنا بصيغ لهجية متعددة.

نقل الإمام السيوطي في المزهر عن ابن هشام قوله: "كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلٌّ يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن هنا كثرت الروايات "

فهو يشير إلى بعض الأبيات الشعرية في كتب اللغة والأدب والنحو التي رويت بصيغ تعبيرية متعددة والتي نثبت من خلالها. تعدد اللهجات العربية.

صياغة القواعد اللغوية والنحوية وأثره في إبراز اللهجات العربية

يبدو أن اللغوين الأقدمين لم يعرضوا للهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضًا مفصلًا يقفنا على الخصائص التعبيرية والصوتية لهاتيك اللهجات؛ لأنهم شغلوا عن ذلك باللغة الأدبية الفصحى التي نزل بها القرآن، وصيغت بها الآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام . ومع ذلك فقد وردت في مصنفاتهم إشارات للهجات العربية بل نص أغلب فقهاء العربية على صحة وجواز الاستشهاد بجميع هذه اللهجات على صحة الكلام واثبات القواعد .

فهذا ابن جني على عنايته بدقائق الدراسة اللغوية لا يتردد في كتابه "الخصائص" في عقد فصل خاص حول ما سماه: "اختلاف اللغات وكلها حجة"، وهو يقصد باللغات لهجات العربية المختلفة، وينصّ على جواز الاحتجاج بها جميعًا، ولو كانت خصائص بعضها أكثر شيوعًا من خصائص بعضها الآخر على ألسنة المتكلمين.

والحق أن العرب –ككل شعوب العالم– كانوا قبل الإسلام وبعده منقسمين إلى فئتين:

. 1 فئة الخاصة: التي كانت تتطلع إلى صقل لغتها وتحسينها، فتسمو في تعابيرها إلى مستوى أرفع من مستوى التخاطب العادي.

2 .1

. 2فئة العامة : وهي التي كانت تكتفي بحظ قليل من فصاحة القول وبلاغة التعبير، وتمضي تبعًا لتقاليدها وبيئاتها الجغرافية الخاصة إلى الاستقلال في صياغة جملها وتركيب مفرداتها ولحن أصواتها بقصد التعبير عن أضهاغرا.

.وأشهر القبائل التي رويت لنا لهجات خاصة تختلف عن اللغة الأدبية المثالية اختلافًا ذا بالٍ هي: تميم وطيئ وهذيل، وهي جميعًا قبائل معروفة بالفصاحة، بدوية ضاربة في أنحاء الصحراء.قوية في الاستدلال واستنباط الأحكام النحوية ، كما نجد أثر هذه اللهجات في قراءة بعض القواعد النحوية والصرفية فأنت تجد في البحث النحوي قواعد عدة، هذه قاعدة تستند إلى كلام رجل من قبيلة أسد، وتلك إلى كلام رجل من تميم، والثالثة إلى كلمة لقرشيّ وتجد على القاعدة تفريعًا دعا إليه بيت لشاعر جاهلي مجهول ومنشأ هذا كله خلطهم بين اللغة الأدبية المثالية الموحدة، التي هي لغة الخاصة، وبين لهجات التخاطب العامة لدى القبائل الكثيرة المشهورة

أشهر لهجات العربية الباقية

يمكن تقسيم لهجات العربية الباقية على حسب ما تذكره مصادر فقه اللغة إلى مجموعتين رئيستين عظيمتين وهما:

––اللهجة الحجازية الغربية :كما تُسَمَّى أحيانًا "قرشية"، نسبة لقبيلة قريش وهي أكثر اللهجات شيوعا وأكثرها استعمالا.

–اللهجة النجدية الشرقية:، و كما تدعى أحيانًا "تميمية"،نسبة إلى قبيلة تميم.

وباستقراء دقيق في كتب النحو العربي يمكننا أن نفرق بين هذين النوعين من لهجات العربية الباقية . فنجد علماء العربية غالبا ما يصفون القرشية بالفصيحة ويصفون غيرها بالشاذة أو المذمومة ومن الأمثلة النحوية التي نفرق بها بين لهجة تميم ولهجة قريش وجود تِعْلم ونِعْلم بكسر حرف المضارعة لدى تميم إلى جانب تَعْلم ونَعْلم

3 .1

لدى قريش ووجود حُمْر وجُمْعة لدى تميم إلى جانب حُمُر وجُمُعة، لدى قريش ووجود حَقِدَ يَحْقَدُ لدى تميم إلى جانب حَقَدَ يَحْقِدُ، لدى قريش ووجود مَدْيون لدى تميم إلى جانب مَدِين، لدى قريش ومُرْيَة لدى تميم ومِرْيَة، لدى قريش .....الخ

أشهر اللهجات المذمومة في العربية

في كتب اللغة إشارات إلى بعض المذموم من لهجات العرب؛ من ذلك الكشكشة، وهي في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئًا، فيقولون: رأيتكش، وبكش وعليكش، فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط، وهو الأشهر، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضًا، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكّنها في الوقف، فيقول: مِنْش وعَلَيْش1. وفي ذلك أنشد قائلهم:

فعيناش عيناها، وجيدش جيدُها ... ولونُش، إلا أنها غيرُ عاطل

ومن ذلك الفحفحة في لغة هذيل، يجعلون الحاء عينًا

ومن ذلك الطُمْطُمانية في لغة حِمْيَر؛ كقولهم: طاب امهواء، أي: طاب الهواء.

ومن ذلك: العَجْعَجة في لغة قضاعة، يجعلون الياء المشددة جيمًا، يقولون، في تميميّ: تميمج،

ومن ذلك شنشنة اليمن؛ تجعل الكاف شينًا مطلقًا كلبّيش اللهم لبَّيْشَ، أي: لبيك.

وعنعنة تميم، تقول في موضع أن: عن، أنشد ذو الرمة:

أعَنْ ترسّمت من خرقاء منزلة3.

فلو أن شاعرًا ضمَّن شعره شيئًا من كشكشة ربيعة، أو طمطمانية حمير، وغدا ينشده في بعض أسواق العرب لغلبوه على أمره بالمكاء والتصدية، ولصيروه أضحوكة من التهكم به والتندر عليه، ولكي تتصور مثل هذا الموقف تخيل رجلًا يكشكش الكافات في قول امرئ القيس من معلقته:

أغركِ مني أن حبكِ قاتلى ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل

4 .1

فهو سينشد البيت هكذا:

أغرَتَشْ مني أن حبْشٍ قاتلي ... وأنتشٍ مهما تأمري القلب يفعل

وتخيل رجلًا آخر يطمطم لامات التعريف، فيسأل الرسول العربي –صلى الله عليه وسلم: هل من امبر امصيام في امسفر؟ يقصد: هل من البر الصيام في السفر، فيضطر –عليه السلام– لاستخدام لغته ليفهمه الحكم الشرعي فيجيبه "ليس من امبر امصيام في امسفر".

فلا غرو بعد هذا كله إذا نزل القرآن بلغة العرب المثالية، وبارك توحّدها، وسما بها إلى الذروة العليا من الكمال، بعد أن كانت لهجة محدودة لإحدى قبائل العرب، ثم لا غرابة أخيرًا إذا تعددت وجوه قراءاته تخفيفًا على القبائل، وحلًّا لمعضلة تباين اللهجات.